

تفسير البحر المحيط

. @ 316 @

وقرأ أُوَبي وعليّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطاء ، وجمع الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها إذ عذبوا بسببهم ، وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولأنهم صاروا لهم أعداء ورؤية العدو مما يزيد في العذاب . كما قال الشاعر : % (واحتمال الأذى ورؤية جابيه % .
غذاء تضنى به الأجسام .

. %)

{ أَنتُمْ لَهَا } إي للنار { وَارِدُونَ } الورد هنا ورود دخول { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ } أي الأصنام التي تعبدونها { مَّا وَرَدُوهَا وَكُلُّ } أي ما دخلوها ودل على أنه ورود دخول قوله { إِنْ نَزَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } وقرأ الجمهور { ءَالِهَةً } بالنصب على خبر { كَانَ } . وقرأ طلحة بالرفع على أن في { كَانَ } ضمير الشأن { وَكُلُّ } فيها { أي كل من العابدين ومعبوداتهم . .
{ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ } وهو صوت نفس المغموم يخرج من القلب ، والظاهر أن الزفير إنما يكون ممن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الإلهية كفرعون وكغلاة الإسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد [] أول ملوكهم ، ويجوز أن يجعل [] للأصنام التي عبدت حياة فيكون لها زفير . وقال الزمخشري : إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم فيها إن لم يكن الزافرين إلا وهم فيها { لَا يَسْمَعُونَ } وروي عن ابن مسعود أنهم يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون وقال تعالى { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِلَاقًا وَجُوهَهُمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا } وفي سماع الأشياء روح فمنع [] الكفار ذلك في النار . وقيل { لَا يَسْمَعُونَ } ما يسرهم من كلام الزبانية . .

{ إِنْ السَّادِّينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } * لَا يَسْمَعُونَ حَاسِيًا سَهَا وَهَمْ * فِيمَا * اشْتَهَتْ * أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنْ نَّاسَا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ
 عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا
 يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مَّسْلُمُونَ *
 فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَمَلَى سَوَاءٍ وَإِن أَذَرْتِي أَقْرَبُ أَم
 بَعِيدُ مَّا تُوْعَدُونَ * إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوَلِ وَيَعْلَمُ مَا
 تَكْتُمُونَ * وَإِن أَذَرْتِي لَعَلَّاهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَيَّ حِينٍ *
 قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
 تَصِفُونَ } . .

سبب نزول { إِنَّ السَّادِّينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ } قول ابن الزبيري حين
 سمع { إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } قال لرسول
 ﷺ (عليه وسلم) : قد خصمتك ورب الكعبة ، أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى
 عبدوا المسيح ، وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم) : (هم عبدوا
 الشياطين التي أمرتهم بذلك) فأنزل ﷻ تعالى : { إِنَّ السَّادِّينَ سَبَقَتْ لَهُمْ
 مِّنَّا الْحُسْنَىٰ } . وقيل : لما اعترض ابن الزبيري قيل لهم : أَلستم قوماً عرباً أو
 ما تعلمون أن من لمن يعقل وما لما لا يعقل ، فعلى القول الأول يكون ابن الزبيري قد فهم
 من قوله { وَمَا تَعْبُدُونَ } العموم فلذلك نزل قوله { إِنَّ السَّادِّينَ سَبَقَتْ
 لَهُمْ } الآية تخصيصاً لذلك العموم ، وعلى هذا القول الثاني يكون ابن الزبيري رام
 مغالطة ، فأجيب بأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل فبطل اعتراضه . .

{ * والحسنى } الخلعة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن ، إما السعادة وإما البشرى
 بالثواب ، وإما التوفيق للطاعة . والظاهر من قوله { عَذِّهَا مُبْدِعَدُونَ } فما بعده أن
 من سبقت له الحسنى لا يدخل النار . وروي أن علياً كرم الله وجهه قرأ هذه الآية ثم قال :
 أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ، ثم أقيمت
 الصلاة فقام يجرّ رداءه وهو يقول { لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا } والحسيس الصوت الذي
 يحس من حركة الأجرام ، وهذا الإبعاد وانتفاء سماع صوتها قيل هو قبل دخول الجنة . وقيل :
 بعد دخولهم واستقرارهم فيها ، والشهوة طلب النفس اللذة . .

وقال ابن عطية : وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لأن الحديث يقتضي أنه في الموقف تزفر
 جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا